



مجلة دراسات دولية

اسم المقال: الحوار الإيراني الأميركي بشأن العراق وآفاقه المستقبلية

اسم الكاتب: م.د. حسين حافظ وهيب

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/6822>

تاريخ الاسترداد: 2025/04/22 19:30 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.

لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام

المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دولية جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً
شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي يتضمن المقال تحتها.



{ الحوار الأميركي الإيراني بشأن العراق وأفاقه المستقبلية }

المدرس الدكتور

حسين حافظ وهيب^(١)

المقدمة:

الاهتمام الأميركي بإيران كما الاهتمام الإيراني بأميركا لم ينقطع بعد حصول الثورة الإيرانية، كذلك الحوار في ما بينهما، وهذه حقيقة يمكن إدراكتها في العديد من المواقف التي أبدت فيها إيران تسامحاً كبيراً إزاء الولايات المتحدة كما الأخيرة إزاء إيران رغم الخطاب السياسي والإعلامي المتشدد في ما بينهما.

أما الحوار المباشر فهو نتيجة منطقية لكل تلك السلسلة المتصلة من المساعي التي كان الغاطس فيها يمثل الجزء الأكبر.

تدرك الولايات المتحدة جيداً الأهمية الجيو استراتيجية لإيران وإنما البوابة التي بدورها لا تستطيع أن تحكم بأهم المناطق في العالم خاصة منطقة الخليج العربي وبحر قزوين ، ناهيك عن المناطق الأخرى الأقل أهمية، وتجربتها في العراق وأفغانستان أثبتت هذه الحقيقة بجلاء ، كذلك فإنما بدون إيران لا تستطيع لجم النطاع الروسي الصيني في الوصول إلى أغنى المناطق في العالم التي حافظت عليها منذ أيام الحرب الباردة ولحد الآن.

إيران مدركة تماماً عدم إمكانية قيام أو توبيخ الدولة الإسلامية العالمية على قاعدة ولاية الفقيه، لكنها حلت الموقف المتعلقة بهذا الموضوع أكثر مما تحتمل، وخطبها النارية المتعلقة بالشيطان الأكبر وضرورة إزالة إسرائيل من الخارطة ليست لها أرضية واقعية، وقد كشفت تصريحات وزير الخارجية الإيرانية منوشهر متكي في المؤتمر الاقتصادي الدولي في منتدى البحر الميت في ٢٠٠٧-٥-٢١ عدم واقعية تلك التصريحات. وعلى هامش ذلك المؤتمر سُئل متكي عن تصريحات الرئيس الإيراني أحمدى

^(١) مدرس في مركز الدراسات الدولية قسم الدراسات الاستراتيجية - سكرتير تحرير مجلة دراسات دولية - جامعة بغداد

بحد المثيرة للجدل فأجاب قائلاً أعلم أي تلميذ في مدرسة ابتدائية إن من المستحيل هو أي دولة في العالم وزالتها من الخارطة^(١).

فالقول إن ليس هنالك دولة قادرة على إزالة دولة أخرى من الوجود هو اعتراف إسرائيلي ضمني بوجود دولة بدولة (إسرائيل)، ودليل على عدم جدية تصريحات الرئيس الإيراني احمدي نجاد، والقبول بالحوار المباشر مع الشيطان الأكبر هو دليل آخر على بداية النهاية للطلاق الذي شارفت أعوامه على الثلاثة عقود، وإن إيران تدرك بآن الوقت قد حان لفض الخلاف بينها وبين الولايات المتحدة علىخلفية الضعف الذي تبديه الأخيرة في أكثر من ملف ، لاسيما بعد انفراط عقد دول التحالف في العراق .

وأنا يمكن ان تكون الخليفة الأنسب مثلما كانت في زمن الشاه ، والتاريخ القريب والبعيد يحدثنا عن إن إيران لم تدع فرصة إلا واستغلتها غير كل مراحل الصراع بينها وبين الدول الأخرى ، بل الأكثر من ذلك أنها قد كسبت معظم الجولات وتوسعت على حساب الجوار، والشاطئ الشرقي الذي أوصى به هلوي قد قضيته في حوار الجزائر ومن ثم اتفاقية عام ١٩٧٥ وكانت قبل ذلك قد استولت على المخزون العربي الثلاث بالحوار والتنسيق مع بريطانيا التي لم تكشف النقاب حتى الآن عن الماهية التي تم فيها الاستيلاء.

الحوار الجديد حتما سيكون على حساب العراق وليس من أجل امن العراق، وإلا ما الذي سخسره إيران إن أرادت أن توقف دعم المليشيات وفرق الموت من كلا الطائفتين دون التحاور مع الولايات المتحدة؟. لكن للحوار أغراضها أخرى سيعيش فصوصها القارئ الكريم من خلال الحوار اللاحقة .

أولاً :- دوافع نشوء وتطور الحوار الإيراني الأمريكي

الحوار بين إيران وأمريكا لم ينقطع بعد حصول الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ كما يعتقد البعض بل انه استمر وبتأثير مختلفة يمكن الاستدلال عليها من خلال العديد من الأمور ، فموضوعة إيران كيت هي دالة من دلائل تواصل الحوار في ما بينهما وإن لم يكن بصورة مباشرة، كذلك فإن في

^(١)المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر جريدة القبس العدد الصادر في ٢٠٠٧-٥-٢١

خلفيات تغير العلاقة الإيرانية-العربية وخاصة الخليجية بعد احتلال العراق للكويت مع ما ابتدأه الولايات المتحدة من تأييد إزاء هذا التغيير هو نوع من أنواع الحوار شبه المباشر^١.

وفي أثناء الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ تم عقد ثلاث محادثات سرية وتحديداً في أشهر كانون الثاني وأذار وأيار، اتسمت بالشائية وال مباشرة، برغم دخول الأمم المتحدة على خط تلك المحادثات إضافة طابع الرسمية عليها، ونوقشت خلالها فرص الالقاء في الرؤى والتصورات لمرحلة ما بعد سقوط النظام السابق، وكان من الممكن أن تقضي تلك اللقاءات، وإن كانت على مستوى ضيق، في إيصال الرسائل بين الطرفين من دون الحاجة إلى وسطاء، على غرار الاجتماعات التي عقدت خلال الحرب الأمريكية على أفغانستان، وقدّاها ^{الدبلوماسي الأمريكي} زمالي خليلزاد، وتناولت المشاكل المتعلقة بالحرب ومستقبل المنطقة، لكن هذه ^{اللقاءات} سرعان ما توقفت في العام المذكور، ليبدأ بعدها معركة دبلوماسية، عبر قنوات مختلفة، لم تخُل من التهديدات والقفز على كل القضايا، ومن بينها قضية العراق^٢.

وحتى الدعوة الأخيرة للحوار المباشر من قبل السيد عبد العزيز الحكيم رئيس قائمة الائتلاف العراقي الموحد والحوار الفعلي الذي جرى بعد ذلك لا يعني إن هذا الحوار كان منقطعاً؛ فالولايات المتحدة تدرك بأن إيران لاعباً أساسياً في منطقة الشرق الأوسط ، لذلك فإنها وظفت إيران الشاه كأحد الأقطاب الأساسية لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في مرحلة الحرب الباردة، وقد ازدادت أهميتها من وجهة النظر الأمريكية بعد التداعيات الخطيرة التي حصلت في البيئة الدولية لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك الكتلة الشيوعية وبروز جمهوريات أواسط آسيا الإسلامية على المسرح السياسي، كذلك فإن انتشار ظاهرة الإسلام السياسي في الكثير من بقاع العالم وما تلي ذلك من احداث ١١ ايلول المعروفة، واحتلال أفغانستان ومن ثم العراق والاحتفاقات الأمريكية في الكثير من المعالجات الخاطئة سواءً على مستوى تردي الوضع في العراق او على مستوى تسارع المساعي الإيرانية في امتلاك تقنيات نووية كلها عوامل ساعدت وعززت من مكانة وأهمية إيران ليست الشرق أو سطيه تحديداً بل الدولية أيضاً.

^١ د. حسين حافظ وهيب- الحوار الإيراني الأمريكي في العراق- أوراق دولية العدد ١٥٠- السنة الثامنة نيسان ٢٠٠٦ ص

^٢ خالد طالب-الحوار الإيراني الأمريكي في مرمى الترشقات الكلامية ومقربات المصالح-مؤسسة المدى للإعلام والثقافة- آراء وأفكار العدد الصادر في ٢ نيسان ٢٠٠٧ ص ٢

إن من جانبها تدرك أهمية التفرد الأمريكي على العالم وإمكانية الولايات المتحدة في تحجيمها عسكرياً واقتصادياً وتقريرها إلى بعد حد ممكّن، وتدرك كذلك إن الولايات المتحدة تمسك ببناليتها الأربع ومن الممكن أن تؤدي استمرارية وجود نظامها واستقراره، ولهذا فإنها وظفت العديد من المتغيرات الإقليمية والدولية لحماية كيانها، ومن أهمها تصاعد التعاون السوري الإيراني والإيراني مع حزب الله وتحسين علاقتها مع بعض الدول العربية، كل ذلك لتوفير نطاق آمني تستطيع من خلاله درء المحاولات التي تستهدف تقويض فعاليتها الإقليمية.

وعلى المستوى الدولي استطاعت إن تطور علاقتها مع ألمانيا وروسيا والهند والصين وإن تفعل بالشراكة مع تركيا ودول أواسط آسيا الإسلامية منظمة التعاون الاقتصادي لتمتين تلك الفاعلية. إجراءات كلا الدولتين ذات أبعاد ومرامي سياسية واقتصادية وأمنية وهي وإن اختلفت في النطاق والفاعلية لكنها كانت تصب في اتجاه واحد وهو ما يشبه الإجراءات التي كان يتّخذها الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة الحرب الباردة لكي يتّجنبوا المواجهة المباشرة في ما بينهما.

لكن الحدث المهم الذي أدى إلى إمكانية حصول مواجهة بين الطرفين هو موضوعة الاحتلال العراقي والتداعيات الحاصلة في ما بعد.

فإيران كانت حريصة على إزالة النظام العراقي السابق ولكنها ليست على استعداد لقبول فكرة تواجد القوات الأمريكية على حدودها الغربية لفترة طويلة. ولذلك فإنها حرصت على العمل باتجاهين^٣.

الأول: محاولة إفشال الاحتلال الأمريكي من خلال إلحاق أكبر قدر من الخسائر في قواته ليس بشكل مباشر بل بصورة غير مباشرة وذلك بالتعاون مع دول الجوار العراقي وفتح الحدود وتسهيل مهمة عبور المقاتلين عبر أراضيها وأراضي تلك الدول في محاولة لدرء مخاطر نجاح الاحتلال في العراق وتداعياته على مستقبل النظم التي تعد مارقة من وجهة النظر الأمريكية.

كذلك فإنها سعت إلى تعزيز دورها على الساحة العراقية من خلال قيادات التيارات الدينية السياسية التي كانت تربط وإياهم بوشائع من التعاون في فترة النظام السابق وتقديمهم بمال وسلاح لمواجهة، وينبغي الاعتراف هنا بأن إيران قد بمحضها إلى حد كبير في تعطيل المشروع الأمريكي وإرباك الأوضاع في العراق.

³ د. حسين حافظ وهيب، نفس المصدر ص ٢

أما الاتجاه الآخر:- فهو التسريع في البرنامج النووي إلى الحد الذي يجعلها قاب قوسين وأدنى من إنتاج السلاح النووي الذي يمكن أن يكون رادعاً للولايات المتحدة وإسرائيل أذا ما حاولا التعرض لها .

إن تحول إيران إلى فاعل شديد التأثير على الساحة العراقية مع ما رافق ذلك من تصاعد الخسائر الأمريكية وتراجع الدور الأمريكي في معالجة الكثير من الإخفاقات والتداعيات الخطيرة التي أعقبت مرحلة الاحتلال ، والإرهاصات التي شعرت بها دول الخليج العربي من جراء إمكانية تزايد فعالية ما سمي بالهلال الشيعي وامتعاض المملكة العربية السعودية والأردن وغيرها من الدول العربية من تعاظم الدور الإيراني ليس في العراق فحسب، بل في منطقة المشرق العربي برمته، كل ذلك كان دافعاً للولايات المتحدة للبدء بتحجيم دورها من خلال

١. النطاق الخارجي: وذلك بدفع بعض الدول الأوروبية ومن أهمها فرنسا وبريطانيا لتبني القرار

١٥٥٩ القاضي بسحب القوات السورية من لبنان وما يستتبعه ذلك القرار من محاولة نزع سلاح حزب الله واضعاف دوره في مواجهة إسرائيل. معنى التقليل من الفاعلية الإقليمية لإيران^٤ .

٢. بالضغط عليها من الداخل، وذلك بتتصعيد ملف ارتباط إيران بالمنظمات الإرهابية وملف الأقليات، لكن كل تلك الإجراءات على ما يبدوا لم تفلح في ثني إيران عن المضي قدماً في ترصين جبهتها الداخلية وكذلك علاقتها الإقليمية^٥ .

وبالتالي أصبح من الضروري للولايات المتحدة التفكير في الوصول إلى حال من التفاهم ينهي على أقل تقدير التصاعد الخطير الذي يحصل في الخسائر الأمريكية في العراق، لا سيما بعد الكشف عن أسلحة إيرانية شديدة التأثير على القوات الأمريكية^٦ .

كذلك فإن الشعور المتزايد لدى الطرفين بان موضوعة العراق يمكن ان تكون اما مدخلات حروب اهلية ليست في العراق فحسب، بل في المنطقه برمتها ولا يمكن التكهن بتائجهما، واما استثمارها كسبيل لحصول نوع من التقارب ينهي القطيعة بين الولايات المتحدة وايران، وتفادياً كذلك لتداعيات اخرى لاسيما في ظل التغيرات الاخيرة التي حصلت سواء في ايران بعد صعود التيار المتشدد

^٤ طارق ترشيشي-دول القرار ١٥٥٩ من فشل رهان الى آخر. للتفاصيل ينظر الرابط التالي

Htt//www.marmarita.com/nuke-20.7.2005

^٥ شبكة النبا المعلوماتية. استمرار الحرب البريطانية الإيرانية ١٩ تشرين اول ٢٠٠٥ للتفاصيل ينظر الموقع www.annabaa.org

^٦ غيتيس. لدينا ادلة على تقديم ايران اسلحة للميليشيات العراقية سالفة الاوسط ١٢.٧.٢٠٠٣

يزعامة محمود احمدى بخاد والتصریحات التاریة التي اطلقها بشأن المحرقة اليهودیة وامکانیة ازالة اسرائیل من الوجود، او في ظل التغیر الذي حصل في نمطیة الحروب العریبة الاسرائیلیة بعد صمود المقاومة اللبنانيّة في حرب الـ ٣٢ يوماً التي يمكن ان نقول عنها بان اسرائیل قد خرجت منها دون نتائج مشمرة وللمرة الاولى في تاريخ حروها مع الدول العریبة ، وقد عد هذا الانتصار او الصمود لدى البعض بثابة فوز لايران في حرب حرت بالنيابة بينها وبين اسرائیل والولايات المتحدة . على الاقل من وجهة نظر المحافظین الجدد الذين رأوا في هذا التغیر دافعاً قویاً لضرورة شن حرب ضد ایران وانهاء دورها الاقليمي الذي ربما يعرض المصالح الامیرکیة للخطر.

وتحبیاً لكل تلك التداعیات ، لاحت رغبة امیرکیة في استئناف الحوار ، على لسان وزیرة الخارجیة الامیرکیة كوندالیزا رایس، وان كانت هذه المبادرة او الرغبة قد حصلت قبل عام من الحرب الاسرائیلیة اللبنانيّة لكن نتائج تلك الحرب والخطیة الامیرکیة حول عدم امکانیة تنفیذ خارطة شرق اوسطیة جديدة تلك التي أكدت عليها رایس في بداية المعرکة عززت من تلك الرغبة ، وقد اشترطت تكون المفاوضات ناجحة وبناءة لا بد وان تسير وفق القواعد والشروط التي احریت بها المحادثات بين الطرفین حول افغانستان ، بمعنى ان لا تنصرف الى امور ابعد من موضوعة العراق في اشارة الى ثبات الموقف الامیرکی من الملف النووي الایرانی^٧.

وفي ایار ٢٠٠٥، أعلن المتحدث باسم الخارجیة الایرانیة حمید رضا آصفی ان ایران تستشرط لاجراء الحوار مع الولايات المتحدة الامیرکیة، ان تقوم واشنطن بتغيیر "سلوكها وتوجهاتها" في اشارة واضحة الى الفلسفة الامیرکیة التي ترى في ایران الدولة المازقة او محور الشر ، ورافق هذا التصریح تصریحات مماثلة من مسؤولین ایرانین آخرين، حق عام ٢٠٠٦ وتحديداً في شهر اذار أعلن على لاریجانی أمین عام مجلس الامن القومي الایرانی، قبول بلاده بالحوار مع امریکا، مؤكداً ان "الموافقة الایرانیة جاءت استجابة لطلب من قائد المجلس الاعلى الاسلامی في العراق السيد عبد العزیز الحکیم" رغم ان هذه الموافقة لم تستشرط ما ورد من تصریحات سابقة حول تغيیر السلوك الامیرکی ازاء طهران ، الا ان هذا الموقف شهد تراجعاً بعد تصریح للرئيس الایرانی محمود احمدی بخاد في نیسان ٢٠٠٦ اکد فيه "انه ومع وجود حکومة دائمة في العراق، فلا توجد حاجة ماسة للحوار مع الولايات المتحدة الامیرکیة"^٨.

^٧ شروط امیرکیة للحوار المباشر مع طهران - قضایا واحادث للتفاصیل يراجع الموقع www.dw-world.de

^٨ خالد طالب- مصدر سابق ص ٢

ويبدو ان الرغبة الإيرانية في مباشرة الحوار قد تراوحت مع صدور قرار مجلس الامن الدولي ١٦٩٦، القاضي بتعليق ايران لنشاطاتها النووية وأعقب هذا القرار تهديدات امريكية باستخدام القوة، اذا لم تستحب طهران للقرار المذكور الذي رفضت تطبيقه مثلاً رفضت تنفيذ مطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وأثار موقفها هذا أزمة شديدة بينها وبين المجتمع الدولي، وعاودت لغة التهديد والاتهامات بين المسؤولين الإيرانيين والأمريكيين.

ثانياً :- القوى الدولية والإقليمية المعيبة للحوار الأمريكي الإيراني

الواقع هناك الكثير من القوى الدولية والإقليمية التي تدفع باتجاه عدم حصول حوار بين الطرفين ويمكن رصد اهم اربعة معرقات او قوى دولية لا تجد حصول تقارب إيراني أمريكي^٩.

١- إسرائيل.

٢- بعض الدول الأوروبية .

٣- بعض الدول العربية.

٤- القوى الثورية وحزب الله المؤيد للجمهورية الإسلامية.

ومع أن هذا الحصر ليس دقيقاً وكاملاً، لكنه يساعدنا إلى حد ما في الوصول إلى الكثير من النتائج الواقعية في متابعة ملف الحوار الإيراني الأمريكي .

تأتي (إسرائيل) في مقدمة المعارضين لتغيير العلاقة بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية وحدوث أي أمر إيجابي فيها، يساند الموقف (الإسرائيلي) هذا اللوبي الصهيوني الذي يتمتع بنفوذ وقوة في العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بسبب سيطرته على الإعلام ومعظم الشركات الاقتصادية وبعض المراكز الحكومية النافذة، وقد اتضح جلياً أن هذا اللوبي كان يدفع باتجاه تشديد المواقف التي تم اتخاذها ضد البرنامج النووي الإيراني وتهديد إيران أكثر من مرة.

والسبب لا يعود فقط إلى الموقف السلبي (الإسرائيلي) من إيران الإسلامية بل إلى الموقف الإيراني من (إسرائيل) أيضاً ووجودها غير الشرعي في المنطقة^٩ فمن الواضح، أن الجمهورية الإسلامية هي المشكل الأساسي في امكانية استمرار وجود إسرائيل على الأرض العربية ، وهي أهم رافض لایة

^٩ لمزيد من التفاصيل انظر - سعيد بورسينا-الحوار الإيراني الأمريكي واربعة معارضين متناقضين-مختارات إيرانية- السنة السادسة - العدد ٦٩- أبريل- ٢٠٠٦ ص ٤

عملية سلام مع (اسرائيل)، ويمكن ان يشار تاكيدا على ذلك الى دعوة المرشد الاعلى السيد علي خامنئي للدول العربية بعدم التفاوض مع اسرائيل في ما سمى بمؤتمر الخريف. ومع أن توجه الجمهورية الإسلامية هذا لم يكن مصحوباً مطلقاً باي تدخل عسكري، أو مواجهة مباشرة مع اسرائيل، إلا أنها اتبعت اسلوب الدعم المادي والمعنوي للمنظمات والاحزاب التي تناشر المشروع الصهيوني وتتحذذ سبيل المواجهة المسلحة معه ، فالصهاينة هم دائماً أول المعارضين للحوار المباشر بين إيران والولايات المتحدة، كذلك فإن ايران أيضاً ترفض الحوار مع اسرائيل.

يرى قادة الكيان الصهيوني ايضاً ان حصول تقارب ايراني امريكي قد ينهي والى الابد فكرة صراع الحضارات للصهاينة صموئيل هنتنكتون والتي لا زالت موضع رهان في احداث مواجهة مباشرة بين الدول الإسلامية والمسيحية تكون فيها الدولة اليهودية الطرف المساند للدول المسيحية، في محاولة لتحقيق سيطرة صهيونية مباشرة على الموارد الطبيعية للدول الإسلامية وخاصة الموارد العربية والایرانية . اما المخور الآخر فهو الدول الأوروبية، ومع أنها ليست قاعدة عامة بين الدول الأوروبية، لكن يبدو أن هناك قوة أساسية أوروبية، خاصة بريطانية وفرنسية لاسيما بعد وصول اليهودي المجري نيكولاي ساركوزي الى الرئاسة الفرنسية ويمكن عدهما من المعارضين الأساسيين لكافة أشكال التعاطي المباشر بين إيران والولايات المتحدة واما يعزز هذا الرأي ما ذهب اليه كوشانار وزير الخارجية الفرنسية لدى زيارته موسكو وتصريحه من هناك بان حرباً وشيكة ستحصل ضد طهران وان فرنسا ستشارك الولايات المتحدة في منع ايران من الاستمرار في برنامجها النووي حتى لو تطلب ذلك عملاً عسكرياً^(١).

جزء مهم من المعارضة الاوروبية ناجم عن الخوف من ضياع المصالح الاقتصادية الهائلة التي حصدها الأوروبيون على مدى الـ ٢٧ عاماً الماضية، نتيجة المقاطعة الاقتصادية التي فرضتها الولايات المتحدة على ایران واذا ما رفعت هذه المقاطعة فان تلك المصالح ستكون عرضة لخسائر كبيرة .

في هذا الخصر، يتم تقديم العرب بوصفهم الجهة الثالثة المعارضة للتعاطي المباشر بين إيران والولايات المتحدة، ومن المؤكد أن المقصود بالعرب ليس كل الدول العربية ، بل إنه طيف جدید بالاهتمام من دول المنطقة وتحديداً الدول الخليجية التي تدخل في منافسة مع إيران، ولهذه علاقات وطيدة جداً مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا، فإن تحسيناً في التعاطي بين إيران والولايات المتحدة يحتمل خروجهم من دائرة اهتمام الولايات المتحدة، وهذا الأمر ستكون له نتائجه الضارة بهم^(٢).

^(١)نفس المصدر السابق ص ٢

^(٢)نفس المصدر السابق ص ٣

من بين هذه النتائج او المخاوف التي يمكن الاستشعار بها اذا ما توصل كلا الطرفين الى نوع من التفاهم يتمحور حول تصور عودة الدور الایرانی الامبراطوري کشرطی امریکی شرق اوسطی وليس خليجي، هذه المرة ، مدعوماً بعدد جغرافي هو بمثابة الغاء حقيقة ، لایة فاعلية عربية^{۱۱} .

وما حديث من موقف معروف تحت عنوان معارضة الجبهة العربية السنوية للحوار الإيراني الأميركي كي بخصوص العراق، يأتي في هذا الإطار، والأخطر من ذلك أن ما كشفه لاحقاً قائد القيادة الوسطى الأميركيّة الأميرال وليم فالون خلال جولةٍ في المنطقة ابتدأَت في البحرين في ٢٠٠٧-٩-١٦، هدف إلى "دفع الحلفاء العرب نحو تشكيل جبهة أكثر اتحاداً في مواجهة إيران" ، على حد قوله.^{١٢} وكان مسؤولون عسكريون أمريكيون قد ذكرروا، عقب اجتماع فالون إلى وزير الدفاع البحريني الشيخ خليفة بن أحمد الخليفة، إن قائد القيادة الوسطى يحمل رسالةً مفادها "أن دول الخليج تمثل خطراً رادعاً ومتقدماً ومهماً لمواجهة إيران".^{١٣} رسالة فالون واضحة: إن دول الخليج بصفتها تلك فائماً ستشارك في الحرب ضد إيران عندما تقرر إدارة بوش ذلك.

إذ يبدو ان فالون يتخذ قرار مواجهة إيران نيابةً عن دول الخليج^{١٣}.

الجامعة الرابعة القلقة من حدوث تعاطٍ أكبر وأكثر مباشرة بين إيران والولايات المتحدة، هي جزء من القوى الثورية المؤمنة بآيديولوجية الثورة الإسلامية في إيران ومن أهله حزب الله المؤيد للجمهورية الإسلامية، كذلك حركة حماس والجهاد الإسلامي وهذه الجماعة ليست لها مصالح اقتصادية أو مخاوف مستقبلية كالجماعات السابقة، بل لها رؤى وتصورات فكرية عن ما يجب أن تكون عليه طبيعة العلاقة مع الولايات المتحدة^{١٤}.

إن سابقة العداء بين إيران والولايات المتحدة والهوية الاستكبارية للأخريرة والتي تذكر في ثقافة الثورة الإسلامية باسم "الشيطان الأكبر" يجعل هذه الجماعة قلقة من أن أي تعاطٍ بين الجمهورية الإسلامية والولايات المتحدة سيشكك في مصداقية الشعارات التي تم تبنيها على مدى أعوام، وأنه سيتهك تدريجياً الهوية الثورية والاستقلال وعزّة الجمهورية الإسلامية، إنهم الآن يتساءلون: هل تغيرت ماهية الولايات المتحدة أم أن الحوار بين هاتين الدولتين سيحمل رسالة للشعب الإيراني ومسلمي العالم مغايرة عن النهج الثوري التحرري للجمهورية الإسلامية؟

^{١١} د-حسين حافظ وهبـ.الحوار الایرانی الامريکي بشأن العراق مصدر سابق-ص ٢

¹² د- عصام نعمان. الاعداد للسلم في مواجهة الاعداد للحرب. مركز الخليج للدراسات رأي ودراسات ٢٠٠٧-٩-٤

ويمزيد من التفاصيل انظر وكالة انباء البحرين في عددها الصادر في ٢٠٠٧-٩-١٦

١٣ نفس المصدر العدد الصادر في ٢٢-٩-٢٠٠٧

^{١٤} سعيد بورسينا، الحوار الايراني الامريكي واربعة معارضين - مصدر سابق ص ٢

ومن المؤكد أن أي محاولة من جانب المسؤولين الإيرانيين في إطار الحوار أو التعاطي مع الولايات المتحدة لا يمكن أن تحدث متغاضية عن حركات المقاومة، ليس فقط لأن هذه الحركات لها دور أساسي في استمرارية وبقاء وصمود الجمهورية الإسلامية، بل لأن لهم حججهم القوية والأكيدة التي ارتبطت بالهوية الاستقلالية للجمهورية الإسلامية.^{١٥}

ثالثاً : اللقاءات المباشرة وأثرها على الوضع الامني في العراق

رغم جهود معظم القوى المعنية للحوار الإيراني الأميركي فقد أثّرت الجهد باعلان الخارجية الإيرانية موافقتها على البحث في مسألة العراق مع واشنطن، ورحبة الأخيرة بالاعلان، وأكّدت أنها ستجرى بقيادة السفير الأميركي في بغداد ريان كروكر، فيما أكّد المتحدث باسم مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض غوردون جونزليرو ان "هذه المحادثات لن تتناول الولايات المتحدة وإيران بل العراق والمدور السياسي البناء لإيران فيه"، وجاءت الخارجية الأمريكية، لتوّكّد مجدداً ان المحادثات لن تتناول الشكوك الغربية في البرنامج النووي الإيراني، مشيرة إلى ان "هناك أماكن أخرى لمناقشة القضية النووية" وفي شهر اذار ٢٠٠٧ أعلنت على لاريجاني أمين عام مجلس الأمن القومي الإيراني، قبول بلاده بالحوار مع أمريكا، مؤكّداً، ان "المؤافقة الإيرانية جاءت استجابة لطلب من قائد المجلس الأعلى الإسلامي في العراق السيد عبد العزيز الحكيم"، وكان اجراء الحوار قد عكس الرغبة العراقية القائمة منذ سنتين تقريباً في ضرورة ترك البلدين خلافاً تماماً، جانباً، والعمل المشترك مع دول المنطقه على اساس المصالح المتبادلة.

وبالرغم من قبول الطرفين التفاوض واللقاءات المتكررة التي حصلت ، لكن لغة التهديد والاتهامات بين المسؤولين الإيرانيين والأميركيين لم تتقطع واستمرت حتى خلال المفاوضات ، وذهبت إيران إلى التشكيك في جدية عقد المباحثات الثانية، وحملت أمريكا مسؤولية الفوضى وتدور الأمان في العراق، وغالباً ما كان يشير مسؤولوها إلى التخطيط الأميركي، والسياسات الأحادية العدائية والاستعمارية للادارة الأمريكية التي أكدوا أنها تتجاهل مصالح الدول ، ولا تكترث بحقوق شعوبها، وهي مصدر جميع المشاكل وغرورها وجهلها قادها إلى هذا المستنقع، في المقابل جاء الأميركيون بوئائر استخبارية، تشير، إلى تورط إيران في تدريب الآلاف من المقاتلين العراقيين، وتزويدتهم بالأسلحة، وتوفير المساعدات اللازمة لتنفيذ عملياتهم المخططة بالطريقة التي يروها، وهو ما أكدّه، أولاً، مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ميشيل هايدن أمام الكونغرس بالقول إن "الإيدي الإيرانية في

^{١٥} نفس المصدر ص ٢

العراق تحت على العنف"، وتحدث عن شكوكه في البداية حول الدور الایرانی المزعوم في العراق الى ان راجع بنفسه تقاریر وكالة المخابرات، قائلًا "لقد خلصت الى هذا الاستنتاج مؤخرًا، ولقد تحول موقفی تماماً في ضوء الدور السلي للايرانيين داخل العراق". ولم تخفي واشنطن ايضاً اقامها للايرانيين بالتدخل في عمل الحكومة العراقية، وتقويض جهودها في السيطرة على الاوضاع الامنية المتردية، وهو ما دعا العراق الى التحفيظ من وطأة ذلك السباق المحموم، الذي ارتسمت حوله تكهنات بضررية استباقية وشيكّة لایران، ما يفتح الباب أمام كارثة اقليمية، سيكون العراق الخاسر الأكبر فيها، لا سيما بعد احدث تصعيد كلامي بين الطرفين، اذ حذر الرئيس الایرانی من الامارات في اطار جولة زار فيها دولاً عربية مؤخرًا تزامنت مع زيارة كبير صنور الادارة الامريكية دیک تشینی للعراق وال سعودیة ومصر والاردن، من "رد ایران قاس سيدفع أمريكا الى التدم" اذا ما أرتكبت "خطيئة" ضررها للجمهورية الاسلامية، وهذا التصریح يأتي رداً على تحذیرات أطلقها تشینی من على متن حاملة الطائرات "جون ستيپنس" بشأن مغبة مضي طهران قدماً في برنامجها النووي، وكانت الدبلوماسية العراقية ناشطة خلال وقبل ذلك الوقت حيث قامت بجولات مكوكية لكيان المسؤولين العراقيين، والى دول عدّة، كان من بينها ایران والولايات المتحدة الامريكية، في محاولة لزرع فتيل الأزمة والبحث عن نقاط التوافق التي تخدم جميع الاطراف، والالتقاء في نقطة محورية، ترتكز على كيفية تحقيق الاستقرار في العراق والمنطقة، وبذل الجهود الحثيثة لمنع الواقع في شرك التراعات الطائفية والقومية، التي من شأنها ان تصدع أوصال المشرق العربي والاسلامي، لاسيما، ان بعض دول هذا المشرق، ومن بينها ایران، نفسها، تعانى أصلاً مشاكل داخلية في الجنوب والجنوب الشرقي، والشمال والشمال الشرقي منها حيث الاقلیات القومية والطائفية، وال الحال هو نفسه في كل من تركيا وسوريا وال سعودیة الى حد كبير، الحراك السياسي والدبلوماسي للعراق، سبقه ورافقه حراك آخر تبنّاه الديمقراطيون الامريكيون في الكونغرس الامريكي، من خلال الضغط باتجاه الأخذ بقرار جموعة دراسة العراق -يکر هامتون" ، الذي أوصى بضرورة الانفتاح على ایران سوريا واجراء حوار مباشر معهما للخروج باتفاقات من شأنها، أن تعيد تصويب السياسات الامريكية في المنطقة، وتجنب الامريكيين هزيمة أشد مرارة من هزيمتهم في فيتنام، وفي هذا السياق يتسائل مستشار الامن القومي الامريكي زيفينيو بريجنسكي، في محاضرة ألقاها في "مركز الامريكي للتقدم" عن سبب الموقف الامريكي المتعنت في سلبية تجاه ایران، بالقول "لماذا سياستنا تجاه ایران مختلفة عن السياسة التي تتبعها تجاه كوريا الشمالية؟ لماذا لا تتفاوض مع الایرانیین؟" وأضاف "أعتقد ان الوقت على المدى الطويل لصالح الولايات المتحدة في ما يخص ایران، وبالتالي فإن

التحاور مع ايران واستيعابها وتأخير برنامجه التوسي أفضل من المواجهة معها، والتي سؤثر حتماً في استقرار المنطقة" ، كما ان القوى المعتدلة والواقعية في ايران تدرك تماماً ان عراقاً يهوي الى الحرب الأهلية، ليس من مصلحتها في كل الاحوال، اذ يشير المتحدث باسم الخارجية الإيرانية محمد علي حسيني الى هذه الحقيقة، بالقول ان "العنف في العراق ليس جيداً لاي بلد في المنطقة، أمن العراق هو أمننا واستقراره ضرورة للسلام والأمن في العالم".^{١٦}

بعيداً عن هذه الاجواء المشحونة، التي نعتقد أنها تأتي في اطار مناورات لكسب الوقت، بغية أملاء شروط تستبق المحادثات تم اجراء ثلاث لقاءات في مبنى رئاسة الوزراء العراقية، اهمها الاجتماع الثاني.

الوفد الايراني كان برئاسة السفير الايراني في العراق حسن كاظمي قمي والامريكي برئاسة السفير ريان كروكر، اما الوفد العراقي فقد كان برئاسة وزير الخارجية العراقي صدر بيان حكومي بعد انتهاء المباحثات جاء فيه ان "واشنطن وطهران أكدتا دعمهما لوحدة وإستقلال العراق، وإحترام سيادته وعدم التدخل في شؤونه الداخلية وتأيد حكومة نوري المالكي ودعم جهودها في بسط الأمن والإستقرار ومحاربة الإرهاب".^{١٧}

كما أكد الطرفان الأميركي والإيراني دعمهما للعملية الديمقراطية في العراق، وإنهم الحاضرون إلى تشكيل لجنةأمنية ثلاثة لحل جميع الإشكالات القائمة أو التي يمكن أن تحصل لاحقاً، وسترker جهودها على التعاون من أجل ملاحقة الإرهاب والجماعات الإرهابية في العراق وعلى رأسها تنظيم القاعدة الإرهابي ودعم الإستقرار في جميع أرجاء العراق وملائحة الخارجين على القانون والعناصر المتطرفة.

مراقبة الحدود العراقية- الإيرانية وضبطها والتعاون من أجل منع العناصر المعادية من إختراق هذه الحدود والإضرار بمصالح البلدين. وللحنة معاملة كافة الأمور التي من شأنها تعزيز أمن وإستقرار العراق على حد تعبير البيان الصادر عن الحكومة العراقية.^{١٨}

لكن اعلان السفير الأميركي خلال المؤتمر الصحفي الذي اعقب الاجتماع جاء مخيباً للأمال حيث ذكر ان كثيراً من الحوار في اجتماع بغداد لم يكن وثيق الصلة بموضوع امن العراق .

^{١٦} خالد طالب -الحوار الايراني الامريكي في مرمى الترشقات الكلامية ومقربات المصالح - المدى آراء وافكار مصدر سابق ص ٣

^{١٧} عباس عبد سالم- العراق الى اين- الحوار الامريكي الايراني واعادة النظر في دوافع الصراع-العدد الصادر في ٢٠٠٧-٧-٢٩ ص ١

^{١٨} نفس المصدر ص ٤

وقال كروكر بعد الاجتماع لعدة ساعات مع السفير الإيراني حسن كاظمي قمي "الشهران المنصرمان منذ مايو لم يكونا مشجعين تماماً". وقد أبدينا قلقنا إزاء الانشطة الإيرانية والدعم للمليشيات تقوم بأعمال عنف سواء عن طريق التسلیح أو التدريب.

وأشار ستعمل الأطراف الثلاثة سوياً (العراق - أمريكا - إيران)، خلال الأيام المقبلة، على تفعيل تشكيل اللجنة الأمنية التي ستضم خبراء فنيين لبدء عملها لوضع آلية محددة في أقرب وقت ممكن. وأوضح أن اللجنة الأمنية ستعمل بالطريقة الفنية لخاربة تنظيم القاعدة، وضبط الحدود العراقية، وكيفية العمل على مواجهة التحديات التي تواجه العراق.

وتحدث السفير الأمريكي عن الحوار الثلاثي المشترك، بقوله "رأينا خلال الحوار أن نضع المبادئ التي تحكم علاقتنا مع العراق، ودعمنا حكومة المالكي من أجل تأسيس الأمن والاستقرار، وإيجاد رؤية مشتركة حول السلام في العراق لكي لا يتعرض إلى تهديد خارجي.

ونوه بأن الولايات المتحدة "لديها أدلة ثبتت تورط الإيرانيين في دعم المسلحين في العراق"، وقال "نحن لانعتقد أننا في وضع تقديم أدلة لمحاكمة الإيرانيين في محاكم القانون نحن نشير إلى أننا نعلم بما يقومون به، واليوم قدمنا لهم أدلة حول ما يقومون به".

وأضاف "قلنا للجانب الإيراني ماذا يجب أن يفعلوا تجاه هذا الموضوع، وأن الموقف الإيراني المعلن للدعم العراقي غير مطبق على أرض الواقع، فالعراقيون متضررون بالدرجة الأولى من سياسة نظام صدام حسين والحروب التي خاضها، وإيران المتضرر الثاني من النظام السابق. وقال عربنا عن قلقنا، وغير الجانب الإيراني عن وجهة نظره ، مشددا على أن النتائج على أرض الواقع "تبقى هي المعيار لنتائج الحوار".

وأعرب السفير الأمريكي عن اعتقاده بأن الجانب الإيراني إذا كان جاداً في اتخاذ موقف مختلف عن سياساته السابقة في العراق فإن ما سيتخرج على أرض الواقع الأمني العراقي سيكون مختلفاً تماماً عن الأحداث الحالية، لأن ما نراه اليوم هو تصعيد للوضع الأمني، وليس تحفيضاً.^{١٩}

رابعاً:- قراءة في مستقبل العلاقات الإيرانية - الأمريكية

رغم توافر اللقاءات الأمريكية الإيرانية في العراق، يبدو أن الرئيس الأمريكي بوش يسعى جاهداً لتوجيه ضربة عسكرية لایران بعض النظر عن تقرير قائد قواته في العراق الجنرال ديفيد بترايوس وسفيره في بغداد ريان كروكر الذي تم تقديمها في منتصف ايلول ٢٠٠٧ والذي لم يكن مشجعاً لاتخاذ

^{١٩} نفس المصدر ص ٢

مثل هكذا اجراء، لكنه أعلن بوضوح أن لا انسحاباً أمريكياً وشيكًا من العراق واصفاً إياها بأنه "الخط الأول لأمن الولايات المتحدة ولواجهة إيران". من هنا يمكن ان نتصور بأن الولايات المتحدة عازمة على ضرب إيران وهذا هو السيناريو الاول .

فقد شن الرئيس بوش هجوماً سياسياً على طهران أمام اتحاد قدامى الحاربين، واصفاً إياها بـ(وجه الشيطان)، مطالبًا حكومتها بما يشبه الإنذار بأن "توقف على الفور عن دعم المتمردين الذين يستهدفون القوات الأمريكية في العراق.

وفي معرض اسباب غضب الرئيس الأمريكي من إيران فإنه يعزى ذلك لأسباب ثلاثة في رأيه، "نظام إرهابي يدعم جميع الفصائل الإرهابية في المنطقة" محدداً تلك الفصائل بـ"حزب الله في لبنان الذي يحاول اجهاض الحكومة الديمقراطية" وحركة "حماس" و "الجهاد الإسلامي" اللتين "تمددان أمن إسرائيل" وآخرها "طالبان" في أفغانستان التي تهدد أمن الحلف الأطلسي.

وثانياً لأن نجاح إيران في امتلاك أسلحة نووية فإن ذلك يعني الهزيمة الأمريكية "البلد الأكثر استراتيجية في العالم والى حصول محرقة نووية وسيطرتها على مصادر الطاقة في المنطقة وحرمان الدول الغربية منها .

وثالثاً لأن "أمن العالم برمه وأمن الولايات المتحدة تحديداً، سيتأثر بشكل حاسم مستقبل الأوضاع في العراق" ، مستنتاجاً أن "مستقبل العالم سيعتمد في الشرق الأوسط الذي يتواصله العراق".

وبعد استعراض تلك الأسباب يحدد الرئيس الأمريكي غايته من هاجمة إيران فيقول إنما القضاء على "وجه الشيطان" الذي بات له، في رأيه، جناحان: احدهما إسلامي ستّي يحيى تنظيم "القاعدة" ، والآخر شيعي إيراني هو "قلب الإرهاب" في الشرق الأوسط. القضاء على "وجه الشيطان" يليو، في كلام بوش، مهمة مستعجلة. فهو يعلن، بصرامة، "إننا سنقضي على هذا الخط قبل فوات الأوان" وهو بذلك يعني قبل أن تمتلك إيران أسلحة نووية وتسقط على مصادر الطاقة في المنطقة، و "كي لا نضطر إلى مقاتلتهم هنا في أرضنا" ، ويعني بهم المنطرفين السنة من جماعة "القاعدة" والمنطرفين الشيعة من جماعة إيران الذين "يدركهم حزب الله" ، على حد زعمه.

هكذا تبدو المنطقة، حسب خطاب بوش، منقسمة إلى معسكرين: الأول تقوده الولايات المتحدة ويضم حلفاءها الأطلسيين، إلى جانب حكومات العتليين العرب وفي مقدمهم حكومة محمود عباس في فلسطين وفؤاد السنiorة في لبنان إضافة إلى الأردن ومصر والملكة العربية السعودية. الثاني تقوده إيران ويضم سوريا إلى جانب تنظيم "القاعدة" الناشط في المنطقة، وحركة "حماس" و "الجهاد الإسلامي" الناشطين في فلسطين، وحزب الله الفاعل في لبنان والذي يتولى، بحسب مزاعم

بوش، تدريب "المتمردين" من متطرفين الشيعة والسنّة الذين يقاومون قوات الاحتلال في العراق. من الواضح ان الرئيس الأميركي أكد في اكثر من مناسبة خيار الحرب على ايران لكنه لم يحدد فترة زمنية لمباشرتها. وان تحديد إيران كمصدر للخطر على أمن الولايات المتحدة ومصالحها بل على أمن العالم الحرّ (الغرب) لا يعني بالضرورة استهداف إيران في هذه المرحلة. ما يؤكّد ذلك قول الرئيس الايراني محمود احمدى بخاد من ان ایران لا تتوقع هجوماً أمريكياً عليها في هذه الآونة وانه يجزم بأن ذلك "مستحيل"، لأن واشنطن تواجه "ما يكفيها" من الخسائر والمشاكل في العراق وأفغانستان. بل هو يتوقع النقض: أن ينهار الاحتلال الأميركي في العراق، ما يؤدي إلى حصول "فراغ قوة"، قال إن إيران مستعدة لملئه بالتعاون مع السعودية ! لكن، هل يستبعد الرئيس الإيراني هجوماً "إسرائيلياً" قريباً على سوريا؟ نعم ربما يكون ذلك ممكناً، إذ إن استهداف إيران قد يبدأ باستهداف حلفائها بقصد إضعافها بضررهم قبل التركيز عليها في نهاية المطاف.

نظريّة "إضعاف إيران أولاً" أكادياً أقل من كلفة الحرب المباشرة وأنصار هذه النظرية في إدارة بوش هم أنفسهم أصحاب نظرية اضعاف العراق قبل غزوته وفي مقدمة واضعي هذه النظرية نائب الرئيس ديك تشيني. الذي يعتبر إضعاف إيران شرطاً لخروج أمريكا بشكل لائق من العراق. وثانياً ان للنظرية دوافع أخرى تتعلق بأمن "إسرائيل" ، إذ يؤدي ضرب حلفاء إيران، كسوريا و "حماس" وحزب الله، ناهيك عن تنظيم "القاعدة" ، إلى إزاحة إيران عن حدود جغرافية واستراتيجية، ملاصقة لـ "إسرائيل" ومهدة لأمنها، فوق ذلك، فإن ضرب حلفاء إيران في سوريا ولبنان وغزة يؤدي إلى دعم حلفاء أمريكا و "إسرائيل" في تلك البلدان وربما إلى إنقاذ حكومي عباس والسيّورة وإضعاف نظام بشار الأسد.

كذلك فان لـ "إسرائيل" مصلحة استراتيجية عليا في ضرب حلفاء إيران، فالكيان الصهيوني يعاني من سيطرة "حماس" على قطاع غزة وتتصعيدها عمليات المقاومة على المستوطنات المعاوره للقطاع، مع احتمال نقلها إلى العمق، كما أن "إسرائيل" لم تتمكن بعد من الإفادة من صدمة اندحارها أمام حزب الله في "حرب الـ ٣٢ يوماً" العام الماضي. إلى ذلك، فإن "إسرائيل" تتوجه بحيفةً من تقدم البرنامج النووي الإيراني واحتمال نجاح إيران في تصنيع أسلحة نووية في المستقبل المنظور، لذلك فانها تضغط كما اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، لحمل إدارة بوش على استكمال "معروفها" في حماية أنهاها بضرب إيران بعدما استحوذت لها باحتلال العراق.

يتحصل من محمل هذا التحليل أن ضرب حلفاء إيران في هذه الآونة احتمال قائم وجدي

ويجب التحسب له. وليس من المستبعد، في هذا المتطور، أن تشنّ "إسرائيل" الحرب على سوريا وعلى المقاومة في لبنان) خلال أشهر الخريف القادم تمهدًا لشن حرب شاملة على إيران^{٢٠}.

اما السيناريو الآخر فهو اقل تشاوئاً ويخلص الى القول ان ثمة رؤيتان متناقضتان في مسألة الحوار الایرانی الامريکي.

الاولى ترى ان مصالح مشتركة بين الطرفين تدفع باتجاه ضرورة انجاحهما لهذا الحوار أولها، ان المصلحة الأمريكية، واضحة، فالعنف المتصاعد قوض مشروعها الاحتلال في العراق، ووضعها في زاوية محروقة، وفي مرمى ضغوط واهامات وتساؤلات متزايدة من الداخل حول جندي الحرب، وضرورة تحديد أفق واضح لخروج قواها من العراق، والبحث في إمكانية التعاون مع الفرقاء في المنطقة من أجل محاربة الإرهاب، بدلاً من التدخلات العسكرية وفتح الجبهات، التي من شأنها ان تغذى "القاعدة"، كما ان أمريكا تسعى من خلال هذه المفاوضات، أيضاً، إلى الوصول بتفاهمات، تطمئن المتحالفين معها، لا سيما من دول عربية.

اما المصلحة الإيرانية، فتحسّد في توسيع هذه المباحثات واستخدامها كحجر لمفاضلات واسعة مع الأمريكيين، تدخل فيها قضية البرنامج النووي، ومحاولة ايقاف العقوبات الدولية ، وحلحلة القطيعة الدولية، وكسر طوق عزلتها، واستثمار الحوار في معالجة ملف منظمة "مجاهدي خلق" المعارضة للإيرانيين، ومنع ازلاق العراق إلى الحرب الأهلية، التي لا يمكن بطبيعة الحال التكهن بنتائجها، لا سيما في ما يتعلق بنظام الحكم في العراق الذي سيولد من رحم هذه الحرب.

ان العراق بحكومته الحالية سوف لن ينجر إلى سياسات عدائية تجاه إيران ، وربما اذا ما استطاعت إيران انجاح مفاوضاتها مع الولايات المتحدة فإنها تستطيع ان تفرض جهود الاستقطابات الطائفية والقومية التي تحدد كيانها، لا سيما عقب بروز "حلف امني لحماية الدول العربية أرضًا ومصالح" دعت إليه المملكة العربية السعودية مؤخرًا^{٢١}.

اما الرؤية الأخرى فترى أن الولايات المتحدة ساهمت بوصفها دولة احتلال في زيادة الدور الحيوي الذي تلعبه طهران بصورة مباشرة أو غير مباشرة، عن قصد أو بدونه، ولم يعد هناك مجال للتشكيك في قدرتها وتحكمها في عدد من المفاتيح المركزية التي تؤثر ولا تزال في بعض التطورات الرئيسية ويمكن الاشارة في هذا الصدد إلى تصريح وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في القول (ان الولايات المتحدة قد قدمت العراق

^{٢٠} د عصام نعمان -هل يحاول بوش ازاحة إيران عن حدودها مع إسرائيل- مركز الخليج للدراسات والنشر - راي ودراسات -١-٩-٢٠٠٧ ص ٢٠٠

^{٢١} خالد طالب، مصدر سابق ص ٣

لایران بطريق من ذهب)، وبحث طهران منذ بداية الغزو الأمريكي للعراق في تكريس نفوذها مستفيدة من فراغ القوة السائد في كثير من المناطق العراقية، وبالتالي يضفي الحوار المشترك في هذه الأجواء مصداقية على قوة الدور الإيراني، وينطوي على التسلیم بقوتها الإقليمية كعنصر مهم في التوازنات، وأهلاً تملّك من الأوراق ما يمكن أن يلعب دوراً في مجالاتها الحيوية.

ومن جهة أخرى، يفضي الحوار إلى توسيع فرص تكرار سيناريو المشهد العراقي مع إيران. فإجراءات محادنات ولقاءات بين مسؤولين من الطرفين يؤكّد خبرة طهران بأساليب مقاومة هذا الاحتمال بأدوات عملية.

وإذا كانت طهران فعلت ما فعلته في دولة جاروة ودفعت في الحصيلة النهائية واشنطن للحوار والتفاهم معها، فإنها من الراجح أن تتمكن من القيام بدور أضخم حال تعرضها لسيئاريو مماثل، بعد أن عرفت مكامن الضعف في التوجهات الأمريكية. ومن هذه الزاوية توافر عوامل إيجابية لضمان سلامة النظام الإيراني خلال الفترة المقبلة، وتتعزز رؤيتها عندما وجه تحذيراته لإسرائيل وكثير من الدوائر الغربية، عكس ما تم تصويره في ذلك الوقت، حيث جرى الترويج لاقتراب تعرض طهران لضربة قاسمة وعدم وجود أي بوادر للحوار معها من قبل الولايات المتحدة.

وتكسر هذه النتيجة ما يوصف بشوكة الشيطان الأكبر علانية، بعد القبول بالحوار، برغم كل المزایدات والنعوت التي وجهت إلى إيران. على ضوء المعطيات السابقة يمكن القول أن ثمة أربعة مخاطر وتحديات سوف تخرج من رحم الحوار الإيراني – الأمريكي^{٢٢}.

أولاً ان يتحول العراق إلى ساحة لتصفية الحسابات بين الولايات المتحدة وإيران، ومن ثم فإن مثل التسوية بينهما يمكن أن ترتب عليها نتائج تضر بالمصلحة العراقية، مما يخلق بؤرة أكبر للتوتر بين بغداد وطهران في المستقبل. فمهما بلغت التفاهمات وقواسمها بين النظام الإيراني والائتلاف العراقي، بصفته الشريك الرئيسي في الحكم حاليا، فإن وجود حلفاء آخرين معه يمكن أن يتسبب في ظهور منصصات على السطح، موجهاً تحول إيران إلى طرف سلبي في المعادلة.

وثانياً، إمكانية حلول مساومة على العراق، بمعنى تسهيل مهمة واشنطن مقابل ترك طهران تضيى قدماً في ملف تخصيب اليورانيوم. وإذا كانت هذه المساومة تحقق الأهداف العاجلة لكل طرف، غير أنها تبقى على عوامل الخلاف ولا تزيلها. فلا يعني مساعدة الولايات المتحدة على حل كثير من أزماتها في العراق تخلي إيران عنه تماماً. ولا يعني إعطاء ضوء أخضر لطهران بتخصيب اليورانيوم، وفقاً لأي صيغة يتفق عليها، لأن واشنطن سوف تغلق هذا الملف تماماً، لأن مكونات التباين تبقى على حالها وتتوارد مؤقتاً إلى حين يتمكن كل طرف من الوصول لأغراضه.

وثالثاً، إذا كان أي تفاهم مشترك حول العراق يفتح الطريق لتحفيض الصعوبات أمام الملف النووي، فإنه من غير المستبعد أن يؤدي إلى تفاهم آخر حول سوريا، التي أصبحت هدفاً متقدماً في الأجندة الأمريكية، لاسيما أن هناك اعتقاداً في أن الوصول إلى دمشق يمر عبر تحريرها من أوراقها الإقليمية. وقد جرى ذلك في لبنان، المتوقع أن يتكرر مع إيران بصيغة أخرى، خاصة أن الشمن السياسي الذي تقبضه طهران من الراوح أنه يكون جيداً، والطريقة التي يمكن أن يتم التفاهم حولها مناسبة، ومشكلة هذا الاحتمال أنه ينال من مصداقية طهران.

ورابعاً، فشل المحادثات، جراء تمسك كل طرف برؤيته سوف يفضي إلى زيادة حدة المحكّات، ليس فقط بشأن العراق، لكن في كل الملفات الخلافية، وهو ما يؤدي إلى تداعيات كبيرة، على ضوء صدور تهديدات معلنة أو مبطنة باستهداف كل جانب للآخر. ودرجت طهران في الأسابيع الماضية على إطلاق تهديدات في شكل رسائل سياسية، قوامها أنها لن تendum استغلال كافة أوراقها

²² محمد أبو الفضل دلائل الحوار الأمريكي الإيراني حول العراق-مخترات ايرانية العدد ٩ مايو ٢٠٠١ ص ٢١

المتعددة، وبالتالي فعدم التفاهم يتسبب في مزيد من التوتر، لأن الملفات التي يملكها كل طرف مهمة وكفيلة بإحداث خلل أكبر في الأمن الإقليمي.

الخلاصة والاستنتاجات

باستثناء التغير الذي حصل في الخارجية ومستشارية الأمن القومي، لم يتغير صناع السياسة الخارجية الأمريكية الذين اتخذوا قرار الحرب على العراق، فالرئيس بوش لا زال محتفظاً بولايته الثانية، والمحافظون الجدد هم أنفسهم الذين يوجهون ويدبرون ملفي السياسيين الداخلية والخارجية، الخطوات التي اتخذت تجاه العراق لا زالت تتكرر بقصد إيران، من تأكيد الحاجة إلى إسقاط النظام، والتركيز على تطوير أسلحة الدمار الشامل، ودعم الإرهاب، والمحافظة على أمن واستقرار المنطقة، وحماية إسرائيل، ولا زال ملف إيران النووي عالقاً في أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، الولايات المتحدة ماضية في محاولة فرض مزيد من العقوبات الاقتصادية وربما في نهاية المطاف عسكرية على إيران، رغم تردد روسيا والصين في الانضمام إلى التوافق الدولي وهو ما يذكرنا بأوضاع المجتمع الدولي إزاء العراق قبل الاحتلال، ولا يوجد ما يشير إلى إن الولايات المتحدة سوف تغير بشكل غير متوقع سياستها بشأن الملف النووي أو غيره من الملفات، كذلك ليس بالإمكان أن تعدل إيران من موقفها بشكل مفاجئ وتوقف نشاطاتها النووية في ظل تصريحات القادة الإيرانيين بأن إيران لن تخلي عن حقوقها في امتلاك تقنيات نووية للأغراض السلمية، والخطب النارية للرئيس الإيراني محمودAhmadi بحد من ان الولايات المتحدة ستتركب حماقة كبيرة اذا ما هاجمت ايران ، تذكرنا بخطب الرئيس العراقي السابق صدام حسين قبيل بدء الحملة العسكرية على العراق، من إن الجيش الأمريكي سوف تقرر عند أسوار بغداد، والرسائل التي كان يوجهها الرئيس العراقي السابق إلى الإدارة الأمريكية تماماً كما هي الآن رسائل الرئيس الإيراني لم تلق آذاناً صاغية .

إستراتيجية الأمن القومي التي أعلنت في آذار ٢٠٠٧ هي نفسها التي تم تبنيها في عام ٢٠٠٠ مع بعض التعديلات والرأي العام الأمريكي لا زال منقسمًا بشأن انعماص الإدارة الأمريكية بالشؤون الدولية تاركة خلف ظهرها شؤون الداخل الذي اظهر عجزاً واضحاً في معالجة الكثير من الأمور لاسيما بعد حادث الأعاصير في كاترينا وغيرها من الولايات الجنوبيّة، السأم بدأ يطال المؤسسات الرسمية من جراء تفاقم الأوضاع في العراق والخسائر الجسمية التي تعاني منها الولايات المتحدة على الساحتين العراقية والأفغانية بدأت تشكل ضغطاً حقيقياً على الجمهوريين إضافة إلى فوز الديمقراطيين في الانتخابات الأخيرة ، وليس بوسع العالم المسيحي أن يوسع أبواب جهنم بوصف

الرئيس الفرنسي السابق من خلال التورط بفتح جبهة جديدة في العالم الإسلامي الشرق أوسطي . إيران ماضية في التمسك بالالتزامات التي عقدتها على نفسها وتعهدت بها للشعب الإيراني من أنها لا يمكن أن تتخلى عن حقها في امتلاك ناصية التكنولوجيا النووية منكهة على مبدأ حق الشعوب في التقدم والنمو ، لكن هواجس المواطن الإيراني تصاعد خشية أن يؤول الوضع الإيراني إلى ما آل إليه الوضع في العراق ، والشارع العربي لاسيما الخليجي تمت تمهيده لقبول فكرة تزايد الهواجس من تطور القدرات النووية الإيرانية تماماً كما هي الهواجس السابقة من تزايد القدرات العسكرية العراقية وقدرها على تهديد دول الجوار ، ما الذي يمكن أن تخلص إليه من كل ذلك السجال والمقاربات الموضوعية بين إيران المعنية بتغيير موقعها والولايات المتحدة الغارقة في همومها الداخلية والخارجية وطموم حاكمها الكونية؟ إيران لا يمكن أن تبقى طليقة من وجهة النظر الأمريكية وهي في موقع القلب من المشروع الأمريكي وجده للسيطرة على الشرق الأوسط ، وما دام العالم بحاجة إلى الولايات المتحدة فأنما لا بد وأن تجعل من هذا العالم جسراً للعبور صوب إيران ، وهي متهمة تماماً في التعامل ليس بشأن الملف النووي بل بشأن إيران كدولة ونظام ومستقبل ، تماماً مثلما تمثلت مع النظام العراقي السابق وأوهمت العالم بخطورته على أمن المنطقة والعالم وبالتالي أغرت العراق في بحر من الفوضى والدمار.

إيران من جانبها لا بد وأن تفعل شيئاً لا أن تتردف عند حدود الاعتصام بمنطق الحق ، فالحق يقي مجرداً دون وجود قوة تحميه ، وعلى الدبلوماسية الإيرانية أن تحاول قطع الطريق على المشروع الأمريكي واستئمار الحوار المباشر مع الولايات المتحدة ليس بقصد امن العراق فقط ، بل ببحث جمل الإشكاليات المتعلقة معها ليس بوصفها الشيطان الأكبر بل بكل منها الدولة العظمى القادرة على إباداء إيران وتعطيل بحمل مشاريعها التنموية ومستقبل نظامها السياسي ، مهمة إيران ليست وطنية فقط بل إقليمية ودولية، ينبغي أن تباشر على ضوء معطيات التحول في البيئة الدولية وإن تسترشد بالواقعية السياسية، وتتخلى ولو قليلاً عن المبدئية ، وإن تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الدولية التي مكتت الولايات المتحدة من أن تكون جاراً بقواتها لإيران وإن تمسك بتلبيتها الأربع، وإن لا تفسح المجال في أن تستثمر الولايات المتحدة الظروف الدولية والمتغيرات الإقليمية والأخطاء الإيرانية للمباشرة في استهدفها وبالتالي تصبح إيران المفتاح الرئيس للولايات المتحدة للسيطرة على العالم مثلاً تريده.